رزق الله حسون الحلبي

(تابع ما قبلهُ)

اما شعرهُ فاني قد وقفتُ على بعض منظوماتهِ التي لم تطبع فاحببتُ نشر نخبة منها وقد تأثرتُ لما قرأتهُ من منظومة في زمن اعتقالهِ فقدمتها بالذكر ومنها قولهُ في والدهِ أليير

خيالك يا أليير مؤنسي وحشتي ... اذا اشتد بي شوقي ولم أرَ مؤنسا
ابوك الذي ما بتُّ الاَّ موسّداً ... ذراعيهِ من وجد اذا الليل ضمسا
لهُ سبغة الديباجي لوعة وتلهفٌ ... وخرقة قلب من زفير ومن اسى
اذا ما استطال الليل يرقب صبحهُ ... بكى لبكاءِ الليل حتى تنفسا
فهل مقلتي قبل الوفاة تراك ام ... اموت وقد طايتُ ضيماً وأبؤسا

وقولهُ من ابيات

حجبوني في حجرة وحموا بين ... مقلتي ان يزورني او أزورهْ
يا صبيًّا على حداثة سنٍّ ... يكتم السرَّ لا يبيح مشورهْ
أرقد الليل فوق صدري من ... عكس الضياء[1] على محياك صورهْ
ما تأملتها بكيتُ التياعاً ... ضارعاً ان تراكَ عيني قريره

ومن ابيات أخرى

أليير اني لمن وجدي ومن كلفي ... أبيتُ ذا لوعة في الروح تبقيها
وهل ترى نافثي روح تعذبني ... وكل يوم اليمّ البين يفنيها
لولا رجائي يربي التقيك لما ... رغبتُ في العيش والدنيا واهليها

وقولهُ فيهِ شوقي الى أليير كالظمآن للماء النمير

وإخالني لفراقهِ ... أصلى بنيران الزفير
يا خدهُ الوضاح هل ... من قبلة تفني الزفير
بيني وبينك البحرُ ... ومفاوزٌ فيها اسير
أمسيتُ تيهاً ولا ... ادري الى اين المصير
أليير اسعدك الذي ... سواك كالقمر المنير
يحميك من شرّ الردى ... في ظلهِ المولى الكبير

(١) اشبع همزة الضياء وهو يجوز مكرر ترى منهُ كثيراً في شعرهِ

وقال يذكر ولده وابنتيه :

حسبي مني اذا لا أرى ... بجانبي ألبير ماري وروز
لكنني من لوعتي لم أزل ... محترقاً كالجمر نارٌ يجوز

ومما قاله في ايام اعتقاله

في السجن والبؤس والنفي او ... فوق بريد بت منذ ربع عام
ولست ادري بعد ذا ما الذي ... يجره لي خوض موت زؤام
ولم ازل اذكر البير في ... قلب كسير باكياً ذا غرام
حتى بدا لي لا ارى وجهه ... ما عشت لكن طيفه في منام
هيهات ان يرقد ذو لوعة ... وجد وذو خوف من الانتقام
العشق والخوف ويا بئس ما ... التقى مع الحالين داء عقام
ثلاثة واحدها قاتلي ... اسرع من ركز القنا والحسام
ولا أبالي طالما كان لي ... مبلغ البير مني السلام

ومما قرأته له يستغيث بفؤاد باشا قوله

فؤاد هذا الملك عطفاً على ... غرسك يذوي في شقا محنته
ان لم تغث عبدك من ذا الذي ... يحميه او ينجيه من نكبته
يا غالب الدنيا بسداداتها ... شرقاً وغرباً بدرها فطنته
وواحد الآحاد في عصره ... وصائب التدبير في حكمته
أحييت هذا الملك من بعدما ... اودت به الاخطار في فترته
وصنت اهليه رؤوفاً بهم ... من سطوات الدهر او حطمته
ارحم عبيداً لك واستبقه ... للولد الحبوب من مهجته
فهو الذي حقق ظني بما ... أرجو من الانصاف او رحمته
امسيت في الحبس كفرخ القطا ... من كرب الحزن ومن شدته

وقال مستغيثاً يشكو من حساده :

نوائب الدهر لا تدوم وان ... طالت شدائدها على رجل
والمرء رهن لكل نائبة ... ما دام في فسحة من الاجل
قد قسم الله رزق كل فتى ... وما يصاب به من الازل

والطير يمنحهُ الورى كرماً على يد مخلص ومتبلِ
والشرُّ قدَّرهُ على يد من احصاهُ في الاخسرين مرتذلِ
أُهيذكَ الله ان تميلَ الى مقال واشٍ يسعى على دخلِ
وكيف تأخذني باغراء ذي حقد يكشِّر بالعداوة لي
اشبه خُلقاً بالذئب مفترساً طار اسمهُ في الاذى مع المثلِ
لولا البنون وما احاذرهُ ضيماً يلمُّ بهم على عجلِ
ما كنتُ اضرع ان تحوِّلني عن مقصد النمل ليس عن زللِ

ومما قالهُ بعد انقاذهِ ما كتب بهِ الى احد اصحابهِ من ابيات :

الحمد لله على نعمتهِ اني لا أيأس من رحمتهِ
انقذني من نقمةٍ ضيمها أوهنني سقماً على شدتهِ
واليوم في ظل المليك الذي امنتُ كل الخوف في بلدتهِ
المرء لا يعلم ما ينبغي يختار من باريهِ في محنتهِ
والطرق لا يعرف ما خيرها للسفر المقصود في فكرتهِ
لا تنسَ من القى بهِ دهرهُ وخائن الامة سيء حفرتهِ
فهو الاخ الصادق في حبهِ يا خيبة من يدخر في صحبتهِ
شهادة القلب دليلٌ على صحة قولي او على شبهتهِ
يا اخاً اشتاقهُ مثلما ألثم ألبير على وجنتهِ
أنّى يكون الملتقى ومتى فالغنم لا افتقد من فرصتهِ
إني اذا القاك انسى الذي لاقيتُ من دهري ومن قسوتهِ

ومن اوصافهِ قولهُ يصف رحلتهُ الى قوقاس من بُرطي ياخرة في نهر ريون

تشق جنبي ريون جارية في غاب بُرطي استطيشها ظهرا
وصرتُ من قلبها بمنزلةٍ يؤثرها ذو المراتب الكبرى
والمجوُّ يرشح من ذكاء على الغابة يكسو فروعها تبرا
والدوح للطير فوقهُ ظُلَلٌ كبائس الدر نثّرت زهرا
تخيل لي بَرَداً تعلق في الأغصان تنثرهُ الصبا نثرا
او عارضٌ عن سبيل مقصدهِ يعوقهُ الدوحُ في السما سرّا

لا يدفع الشكّ عنهُ غيرُ شذاً ... من طيبهِ أرّج الربى عطرا
والغاب أجمعهُ ارتدى حلاً ... من بهجة الفصل رونقاً خُضُرا
في مستوي القاع منبتاً بسطت ... يدُ الطبيعة مهدهُ غورا
يسّاب فيهِ ربونهُ مدفقاً ... شعباً فشعباً مضى سقى البحرا
واليوم حتى الماء تحملنا ... جارية ذات بهجة حرّى
تُصعد انفاسها وتحدرها ... نازعة سيفي مسيرها فرّا
وقرب (أربير) من (مُرّام) بدا ... أعلاهُ في السحب حيّر الفكرا
فجعل القول سيفي محاسنهِ ... شبابُ غضّ الطبيعة الزهرا
كأنهُ ملكٌ تزمّل في ... بجاد نورٍ مدبّج يُبرا[1]
والشمس عند الغروب تحسبها ... تاجاً عليهِ ياقوتة صفرا
والدارُ كالسرو قامةً شرعٌ ... وعمّد تدمرَ جانباً خضرا
والنجم من فوقهِ قناديل أو ... أقراط ماسٍ تعلقت جمرا
فدع ثبيراً[2] لذي القروح[3] فذا ... اجمل من غوطة ومن شبرى
من خلقهِ قننٌ وواديهُ ... القوقاس عن كثب انت تقرى
منجرات الذرى يتابع في ... الفجوج اجمعَ صبّت النهرا
ما تستحقّ دمشق او يرّدى ... بنسبةٍ ما لحسنهِ ذكرا
من شهوة النفس والعيون بهِ ... طيرٌ ابابيلُ اعيت الحصرا
ما راشدٌ بالفنون يدرك في ... تصوير افكارهِ بها خبرا
يرصدها كالعقاب مقتنصاً ... لنهمةٍ صائدٌ لها قهرا
يصرعها رميةً بلسرع ما ... يرجعُ برجيسُ فارساً جرا
ديارُ كرج وأرمن وطني ... قبل انتقالي ابي الى أخرى
قد وُقيت ما يروع واكتسبت ... في ظلّ راية نسرها الفخرا
اتيتها بعد طول منقربٍ ... في المدن دوّختُ ارضها شهرا
هواؤها ماؤها وتربتها ... تسمو على الارض كلها خطرا
واهلها صورةٌ ونظرةٌ ... وقامةٌ احسن الورى طُرّا

(١) اخذ المعنى من قول امرئ القيس «كأن ثبيرًا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل»
(٢) الجبل الذي وصفنا هنا (٣) ذو القروح لقب امرئ القيس لانهُ سمّ فقرّح

الى ان قال :

شربتُ ريث استفقتُ من كدرٍ منتشاً وكأني كسرى
أنشد مدح الامير مولاي عبد القادر العربيّ مفتخرا

اراد بهِ الامير عبد القادر الجزائري الشهير ثم ذكر حمايتهُ للنصارى في حادثة ٢٧ حزيران سنة ١٨٦٠ في دمشق بقولهِ :

لهُ الايادي التي تدوم على طول المدى والمكارمُ الغرّا
لله صان دماء أمتنا في جأشِ يوم فيضها غدرا

ومن قصائدهِ التي نظمها في روميا في ٢٨ ك١ سنة ١٨٦٥ على اثر سعي دولة روميا بانقاذهِ قولهُ وعنوانها (الرومية) :

منذ القديم استدل الناس بالاثر وقفاً على العين او كشفاً عن الخبر
والعلم بالخلق والاخلاق مفتقرٌ الى السياحة بين البدو والحضر
من دوّخ الارض ادري بالسياسة لا من بات يقرأ في التاريخ والسير

وهي طويلة وقد طبعت في كتابهِ المنشآت

ومن قصائدهِ التي نظمها في بلاد الانكليز قولهُ من قصيدة

مذ بتُّ مغتربًا في الارض اقصاها وفي بلادٍ برغمي كان مثواها
مدحتُ سيدةً في الانكليز[1] على سمعي بهاها ولم انظر محياها
وقد تصورتها والحسن يشهد لي بانها كاسمها سبقٌ وصف معناها
في الخلق والخُلق والمجد الرفيع وفي جميع ما تبتغي سلطانة جاها

وهي مطبوعة ايضاً

وقال من موشحة يذكر فيها بيروت والرفاق افتتحها بقوله

ما رمقتُ الرياض الاّ عرفتي نحو بيروت عزّةً اثر وجدِ
شوق ربع وجنة ذات حسنٍ عبقت بالزهور سبقٌ كل سعدِ
وحنيناً لصحبةٍ قدمتني من أولي عزةٍ واصحاب مجدِ
ظلّ لطف الاله لي كان مُعني مع خليلٍ ومع حبيبٍ بودِ
ونداي اذا تذكرت أني ثم رتلتُ ذكرهم ترتيلا

(١) يريد الملكة فكتوريا امبراطورة الهند وبريطانيا العظمى

واختتمها بقوله

يا اخلائي ما نسيتُ وداداً ... وانا متجلدٌ للرزايا
تارك الاهل والبلاد بعاداً ... طالب الأمن في الفلا والزوايا
واجداً لم أزل من الله زاداً ... انهُ المانح الجميع العطايا
اذكرونا فالذكر يدني مراداً ... طالما سلى النفوس منكم بقايا
وارى المال كلهُ مستفاداً ... غير عمر الفتى فصبراً جميلا

اما كتابهُ اشعر الشعر فان فيهِ ركاكة غريبة وتصرفاً كثيراً وخروجاً عن القواعد المألوفة مما يدل على انهُ نظمهُ وهو مضطرب البال معتقل الحال

ومن محاسنهِ قول ايوب الصديق :

واني وان كنت البريء فلم أجب ... وأسترحم الديان يعفو وينفرُ
ولو بتُّ ادعو واستجاب فما انا ... بسمع دعائي آمنٌ متبشرُ

وقولهُ لا تعدَمَنْ من رجاء روحةٌ نعامت ... تبقى خراعيبها في الارض تصطبرُ
ولو اروماتها تحت الثرى قدمت ... وجذعها مات بين الترب ينعفرُ
فانها تستطيل الفرع من بلل ... كالغرس ينبت اغصاناً ويتنشرُ
والمرء يبلى اذا شالت نعامتهُ ... يبلى الروح اين العين والخبرُ
فليأس نقادٌ من غدائرها ... والنهر يشف والآذيُّ يشمرُ

وقولهُ لي قبل طوبى لاسمعن وعت اذنٌ ... والعين لي شهدت بالسر والعلنِ
لاتني قد اجرتُ المستغيث واذ ... قلت الشيم ولا حامٍ من المحنِ

ومن كلام بلدد الشوحي احد اصحاب ايوب الثلاثة قولهُ

ولئن تكن أولاك في صغر مضت ... أخراك تكثر من كبير المثنمِ
فسل القرون الاولين تطلعاً ... لمباحث الآباء من متروّمِ
هذ امسى نحنُ وعمرنا ظلٌّ ولا ... ندري احاديث الزمان الاقدمِ
هلاَّ بما علَّمت نجنُ قلوبهم ... هم يتبؤنك قائلين ألاَ أعلمِ
في غير ذي غمقٍ نما البرديُّ ام ... حلفاه تنبتُ دون ماء مفعمِ
وتراهُ يبس وهو يزهو نضرة ... من قبل عشبٍ في الفلاة مسهمِ
وكذا سبيل جميع ناسي ربهم ... خاب الرجاء لفاجرٍ وغشمشمِ

ومن غريب ما يستحق الذكر ان الناظم تصرف في الفصل الثامن عشر من سفر ايوب (اشعر الشعر صفحة ٣١) فنظمهُ بلاقافية فجاء ركيكاً مشحوناً بالاغلاط مع عدم تقيده

ومن اغرب كل ذلك انهُ عقد وصف ايوب الصدّيق للفرس ولم يجد فيهِ مع ان الشعر العربي مملوء من مثل هذه الاوصاف وهاك بعض هذا الوصف :

هل تُعطي الجواد يخبُّ عزماً وتكسو عنقهُ عرفاً بديعا (١)
يطن الخيل بجأك وثوبٌ يأسٍ يلتقي الحرب الزّبونا
ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الاسياف لم يجحم جبينا
تصلُّ عليهِ واقعةً سهامٌ وترهقهُ رماح الدارعينا

ومن منتخبات عقدهِ لسفر الجامعة قولهُ :

وحزن الفتى خيرٌ من الضحك انهُ في الكآبة اصلاحاً لقلبٍ مشتتِ
وفي عقر بيت النّوح قلبُ أولي الحجا وفي بيت لهو قلب ذي الجهل ما فتي
وللرد خيرٌ من غناء الأولى غرّوا سماع انتهارٍ من حكيم مبكّتِ

وقولهُ ومن يثوِ في ظلّ من الحكمة اهتدي لما يتبوّأ مقعداً ظلّ فضلِ
اذا الحكمة الزهراء تحيي صحابها فذلك فضل العلم عن جود فطنةِ

وقولهُ عاقداً الفصل الثاني عشر من الجامعة في موشح بليغ مطلعهُ :

عليك في الشباب ذكر الخالقِ قبل زمان الشرّ والبوائق
وحجج تقول فيها ما بقي - سرورُ

ومنهُ : غرّ الاباطيل وساءت خاتمه يئس الاماني للنفوس الطامعة
الكل في الدنيا بقول الجامعه - غرورُ

وزبدة الكلام ان المترجم من نوابغ السوريين في ذلك العهد بل كبار احرارهم على حين كان الاحرار يعدّون على الاصابع . وفي ما تقدم من ترجمتهِ بيانٌ كافٍ لمنزلتهِ من السياسة والآداب . وموعد نشر مقالتهِ في الطباعة الاقتصادية عدد آخر ان شاء الله

عيسى اسكندر المعلوف
اللبناني

(١) لم اجد هذه الكلمة ولكنني ارجح انهُ اراد بها معنى الحسن من ابن الرجل اذا حسنت سحنتهُ وهو من تصرف النشوي